

تفسير أبي السعود

15 - أورثوا الكتاب من بعدهم الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرء ورثوا وورثوا أي وإن المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا لحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيا مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على السنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل الأرض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبقى بينهم فإن مشاهير الأمم المذكور قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير إنظار وإمهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الأمة وإنما ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب إقامته وتشديداً للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الإخلال بذلك المرام فلذلك أي فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القوم القديم الحقيقي بأن يتنافس فيه المتنافسون فادع أي الناس كافة الى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله سبب للدعوة إليه والأمر بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبه التكرار وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة إليه كما أمرت وأوحى إليك ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الأوصل وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الأيمان بها في خاتمة سورة البقرة وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لا سوى بيني وبينكم ولا آمركم بما لأعمله ولا اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين اكا بركم وأصاغركم واللام إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أي أمرت أن أعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم أي خالقنا جميعاً

ومتولى أمورنا لنا أعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان